خطبة الجمعة القادمة
عظمة الإسلام
وخطورة المتاجرة به أوالافتراء عليه

٦ من صفـــر ١٤٣٦هـ　　　　٢٨ من نوفمبر ٢٠١٤م

أولاً: العناصر:

١- عظمة الجوانب الأخلاقية في الإسلام.

٢- عظمة الجوانب الإنسانية.

٣- خطورة المتاجرة بالدين.

٤- خطورة الافتئات على الدين.

٥- حرمة القتل والتخريب.

ثانياً: الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤].

٢- وقال تعالى:{ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

٣- وقال تعالى : {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف: ١٩٩].

٤- وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } [البقرة: ٨ – ١٠].

٥- وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: ٧٧].

٦- وقال تعالى:{وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }[النحل: ٩٥].

٧- وقال تعالي: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: ٩٣].

الأدلة من السنة:

١- عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(مستدرك الحاكم).

٢- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ " (سنن الترمذي).

٣- وعَنْ مَسْرُوقٍ : قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) حِينَ قَدِمَ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ فَذَكَرَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ (خَيْرِكُمْ) أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا).

٤- وعن عائشة (رضي الله عنها) حين سئلت عن أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) قالت: «كَانَ خلقه الْقُرْآن»[مسند أحمد].

٥- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " (متفق عليه).

٦- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا" (صحيح البخاري).

ثالثا: الموضوع:

لقد تحدث القرآن الكريم عن الأخلاق حديثًا عظيمًا ، فما من كتاب دعا إلى مكارم الأخلاق مثل القرآن الكريم ، فالنهج الأخلاقي القرآني يمثل إعجازًا، فإذا تأملنا كيف تغيرت بلاد العرب خلال سنوات قليلة بعد أن كانت موطنًا للوثنية والجمود والقسوة والعنف والظلم وغير ذلك من سيئ الأخلاق، وكيف تغيرت سلوكياتهم وعاداتهم ، فتعلموا ضبط النفس ومكارم الأخلاق، وتخلصوا من العصبية والغضب بالحلم والصفح ، وتخلصوا من الضغائن والأحقاد ، وتعلموا الرفق والعفو والإحسان.

والنموذج العملي الأكمل في امتثال الأخلاق الإسلامية هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي وصفه القرآن الكريم بأنه على خلق عظيم ، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤].

فقد كان (صلى الله عليه وسلم) أجمع الخَلْق خُلُقا ؛ لأنه كان أجمعهم للقرآن الكريم تطبيقًا وامتثالاً، كما ورد على لسان أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) حين سئلت عن أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) قالت: «كَانَ خلقه الْقُرْآن»[مسند أحمد].

كما تحدث القرآن الكريم عن عظمة الجوانب الإنسانية في الإسلام ، فتحدث عن البشرية جمعاء مبينا أنهم متساوون في الخلقة والتكريم على سائر المخلوقات ، قال تعالى : {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠]، ليؤكد بذلك على مبدأ لا يقبل حذفا ولا تعديلا ولا نسخا ولا تعطيلا وهو هدف من أهداف الخلق وهو (التعارف والتآلف) قال تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣] ، فالقرآن يبين عظمة الإسلام في نظرته لكل البشر بغض النظر عن اللون والجنس والديانة ، وهذا يجسد مفهوم الحقوق والواجبات ، والرحمة والصدق ، ومفهوم الولاء والانتماء ، وترسيخه بين المسلم وغيره ممن يعيشون تحت مظلة وطن واحد ، ويؤمن بسنة التنوع والاختلاف ، فالاختلاف بين الناس سنة من سنن الله عز وجل الكونية ، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } [هود: ١١٨، ١١٩] .

ولقد تجسَّد هذا المفهوم من خلال وثيقة المدينة التي كانت بمثابة الدستور الأول المنظم للعلاقات بين البشر والتي تعد أفضل أنموذج في فقه التعايش السلمي بين البشر جميعا على اختلاف أديانهم وأعراقهم ، كما جسد النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه العظمة الإنسانية في تعامله مع غيره ممن لا يدينون بدين الإسلام بأواصر الترابط والتراحم ، فعن ابْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) حِينَ قَدِمَ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ فَذَكَرَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ (خَيْرِكُمْ) أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا).

ولقد ربى النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه على هذا الخلق العالي الرفيع حينما أعلنها مدوية معرفًا المسلم الحقيقي حين قال :(المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) فقد بين الإسلام للبشر أن المسلم سِلْم للمسلم ، وسِلْم لغير المسلم .

فالأخلاق الإنسانية تقوم على مبدأ العطاء، فينكر المسلم ذاته وحظ نفسه في سبيل الآخرين، وقد أطلعنا القرآن الكريم على عينات رائعة من نماذج ليست مقصورة على أفراد معينة ، بل أصبحت صفة للمسلمين عامة ،

قال تعالى :{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[لحشر: ٩]، وقال تعالى :{ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}[الإنسان: ٨].

ولقد ضرب المسلمون أروع الأمثلة في العطاء أفرادًا وجماعاتٍ ، فلما هاجر الرسول من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وآخى بين المهاجرين والأنصار كان الأنصاري يشاطر أخاه المهاجر بنصف ماله.

ولقد حذر الإسلام من أن يتخذ الإنسان الدين وسيلة لكسب أغراض سياسية أو حزبية ، دينية أو دنيوية، لأن ذلك يعد متاجرة بالدين ، والمتاجرة بالدين هي النفاق بعينه الذي قال عنه ربنا سبحانه وتعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: ٨ – ١٠].

إن أخطر مايهدد البلاد ويؤدي إلى الفرقة والتشاحن إساءة استخدام الدين ، والمزايدة عليه ، سواء بالشعارات الجوفاء أم بالخطب الرنانة أم بالمجادلات العقيمة التي لا تحقق نتيجة ولا تصل إلى غاية ، وما ذلك إلا متاجرة بالدين.

ومن صور المتاجرة بالدين وتوظيفه لأغراض سياسية أو سلطوية ، تلك الدعوات الآثمة إلى رفع المصاحف ، ونقول لهؤلاء محذرين من الاستجابة لدعواتهم : هذه فعلة الخوارج ، فما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد صنع الخوارج هذا الصنيع وخرجوا على سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ورفعوا المصاحف ، وقالوا: لا حكم إلا لله، ثم كفروه وهو من هو (رضي الله عنه) ، وكانت فتنة عظيمة سفكت فيها الدماء، ونهبت فيها الأموال ، وتحول رفع المصاحف إلى رفع السيوف وقتل الآمنين .

إن من قواعد الشريعة التي يرفعون ظلما وخداعا شعارها : حفظ الدين، والنفس ، ومن قواعدها أيضا : أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وهذه الدعوات التي يرفعونها قد تؤدي مالم نتنبه لها إلى فتن عظيمة تعصف بالبلاد والعباد من قتل وتدمير وتخريب وزعزعة لأمن الفرد والمجتمع .

إن الشريعة تدعو إلى تعظيم شأن المصحف وصيانته عن كل مالا يليق به ، فكيف بالمصحف الشريف حين يحدث الهرج والمرج ، أو يحدث احتكاك بين هؤلاء وبين المعارضين لهم ، أليس من المحتمل ، بل من المؤكد أن تسقط بعض المصاحف من أيديهم على الأرض وربما تهان بالأقدام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم ، إثمه وإفكه على من دعا إليه أو يشارك فيه.

إن إقحام الدين في السياسة والمتاجرة به لكسب تعاطف العامة إثم كبير وذنب خطير ، ويكفي الإسلام ما أصابه من تشويه صورته في الداخل والخارج على يد ولسان بعض المنتسبين إليه ، وليس لهم من حقيقته إلا مجرد أسمائهم وبطاقات هوياتهم.

ونؤكد على حرمة المشاركة في هذه التظاهرات الآثمة ، وعلى إثم من يشارك فيها من الجهلة والخائنين لدينهم ووطنهم.